

مجمع الأمثال

4007 - مِنْكَ أَنْفُكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ .

يضرب لمن يلزمك خيره وشره وإن كان ليس بمُستحكم القرب .

وأول مَنْ قَالَ ذَلِكَ قُنْفُذُ بْنُ جَعْفَرٍ وَنَعْلَةُ الْمَازِنِيِّ لِلرَّبِيعِ بْنِ كَعْبِ الْمَازِنِيِّ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبِيعَ دَفَعَ فَرَسًا كَانَ قَدْ أَبْرَسَ عَلَى الْخَيْلِ كَرَمًا وَجُودَةً إِلَى أَخِيهِ كَمَيْشٍ لِيَأْتِيَ بِهِ أَهْلَهُ وَكَانَ كَمَيْشٌ أَنْوَكٌ مَشْهُورًا بِالْحَمَقِ وَقَدْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَالِكٍ يُقَالُ لَهُ قُرَادُ بْنُ جَرْمٍ قَدِمَ عَلَى أَصْحَابِ الْفَرَسِ لِيَصِيبَ مِنْهُمْ غِرَّةً فَيَأْخُذَهَا وَكَانَ دَاهِيَةً فَمَكَثَ فِيهِمْ مَقِيمًا لَا يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَلَا يُطَهِّرُهُ هُوَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى كَمَيْشٍ رَاكِبًا الْفَرَسَ رَكِبَ نَاقَتَهُ ثُمَّ عَارَضَهُ فَقَالَ : يَا كَمَيْشُ هَلْ لَكَ فِي عَانَةِ أَرٍ مِثْلَهَا سَمْنَا وَلَا عَظْمًا وَعَيْرٍ مَعَهَا مِنْ ذَهَبٍ ؟ فَأَمَّا الْأَتْنُ فَتَرُوجُ بِهَا إِلَى أَهْلِكَ فَتَمْلَأُ قُدُورَهُمْ وَتَفْرَحُ صُدُورَهُمْ وَأَمَّا الْعَيْرُ فَلَا افْتِقَارَ بَعْدَهُ قَالَ لَهُ كَمَيْشُ : وَكَيْفَ لَنَا بِهِ ؟ قَالَ : أَنَا لَكَ بِهِ وَلَيْسَ يَدْرِكُ إِلَّا عَلَى فَرَسِكَ هَذَا وَلَا يَرَى إِلَّا بَلِيلَ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي قَالَ كَمَيْشُ : فِدُونِكَ قَالَ : نَعَمْ وَأَمْسِكْ أَنْتَ رَاكِبِي فَرَكِبَ قُرَادُ الْفَرَسَ وَقَالَ : أَنْتَظِرْنِي فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ مِنْ غَدٍ قَالَ : نَعَمْ وَمَضَى قُرَادٌ فَلَمَّا تَوَارَى أَنْشَأَ يَقُولُ :

ضَيْدٌ عَتَّ فِي الْعَيْرِ ضَلَالًا مُهْرَكًا ... لَتُطْعِمَ الْحَيَّ جَمْعِيًّا عَيْرَكَا .
فَسَوَّفَ تَأْتِي بِالْهَوَانِ أَهْلَكَا ... وَقَبِيلَ هَذَا مَا خَدَعْتُ الْأَنْوَكَا .
فَلَمْ يَزَلْ كَمَيْشُ يَنْتَظِرُهُ حَتَّى أَمْسَى مِنْ غَدِهِ وَجَاعَ فَلَمَّا لَمْ يَرَ لَهُ أَثَرًا انْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ سَأَلْتُ أَخِي عَنِ الْفَرَسِ قُلْتُ : تَحَوَّلَ نَاقَةً فَلَمَّا رَأَاهُ أَخُوهُ الرَّبِيعُ عَرَفَ أَنَّهُ خُدْعَ عَنِ الْفَرَسِ فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ الْفَرَسُ ؟ قَالَ : تَحَوَّلَ نَاقَةً قَالَ : فَمَا [ص 299] فَاعَلَ السَّرَّاجُ ؟ قَالَ لَمْ أَذْكَرِ السَّرَجَ فَاطْلُبْ لَهُ عِلَّةً فَصَرَعَهُ الرَّبِيعُ لِيَقْتُلَهُ فَقَالَ قُنْفُذُ بْنُ جَعْفَرٍ : اللَّهُ عَمَّا فَاتَكَ فَإِنْ أَنْفَكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ فَذَهَبَتْ مِثْلًا وَقَدِمَ قُرَادُ بْنُ جَرْمٍ عَلَى أَهْلِهِ بِالْفَرَسِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :
رَأَيْتُ كَمَيْشًا نَوَكُهُ لِي نَافِعٌ ... وَلَمْ أَرِ نَوَكًا قَبِيلَ ذَلِكَ يَنْدَفَعُ .
يَوْمَ لِي عَيْرًا مِنْ نَضَارٍ وَعَسْجَدٍ ... فَهَلْ كَانَ لِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ
مَطْمَعٌ ؟ .

وَقُلْتُ لَهُ : أَمْسِكْ قَلْبُوصِي وَلَا تَرِمْ ... خِدَاعًا لَهُ إِذْ ذُو الْمَكَائِدِ
يَخْدَعُ .

فَأَصْبَحَ يَرْمِي الْخَافِقِينَ بِطَارٍ فِيهِ ... وَأَصْبَحَ تَحْتِي ذُو أَفَانَيْنِ جُرْشُعُ

أَبْرَءُ عِلَالَى الْجُرُودِ الْعَنَاجِيحِ كُلِّهَا ... فَلَا يَسُ وَالْوُ أَفْهَمْتَهُ الْوَعْرَ
يَكْشَعُ